

دمية القصر

القسم الأول .

في طبقات شعراء البدو والحجاز .

أقول في هذه الطبقة : إن أحسن أبيات الأشعار ما طلعت من أبيات الأشعار ورعت مع الطّباء الشيخ وتزوّدت مع الصّياح الريح مستغنية بحسنها عن التصنع والتعمّل حلوة إذا ذاقها الناظر بحسن التأمّل مصقولة العُرُقوب بلا تجشّم لمؤونة الحامّام مجدوة الثغور بلا منّة لفروع البشام . وكذلك قال المتنبي :

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية... وفي البداوة حُسْنٌ غيرٌ مجلوبٍ .

وقد وقع لي من أشعار هذه الطبقة ما هو أعذب من الزّلال وأرقّ من الشّمول صُفّقت بالشّمال . وأنا مبتدئٌ منها بما أنشدني الشيخ الإمام أبو عامر بن الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني للأمير أبي الفتوح زعيم مكّة حرسها الله تعالى :

وصلتني الهمومُ وصلّ هواك... وجفاني الرُّقاد مثل جفاك .

وحكي لي الرسول أنك غصّبي... يا كفى الله شرّ ما هو حاك .

فهذا كلامٌ عليه أمانة الإمارة وله ملاحه البداوة ورشاقة الحضارة . ولا أشكّ أن لهذين الزوجين أخواتٍ تجري مجراهما غير أن الرواة لم تتداولها فتسري مسراهما . وأنا بعون الله وحسن تيسيره من وراء طلبها حتّى أهدى إلى الكتاب الذي نُصّب لها ضرباً من ضربها إن شاء الله تعالى .

الأمير أبو المنيع قرّواش بن المقلّد .

أمير العرب المقدّم وفحلها المقرّم . أنشدني أبو الفضل يحيى بن نصر السعدي البغدادي قال : أنشدني لنفسه :

إنّ درّ النّائبات فإنها... صدأ اللّئام ومّقل الأحرار .

ما كنت إلا زُبرةً فطبعني... سيفاً وأطلق صرْفُهْن غراري .

وأنشدني أبو محمد عبد الله بن محمد الحمداني الخرافي قال : أنشدني أبو المكارم الفضل

بن عبد الله الهاشمي قال : أنشدني لنفسه :

من كان يحمّد أو يذمّ مورّثاً... للمال من آبائه وجُدوده .

إني امرؤٌ أشكرٌ وحده... شكراً كبيراً جالباً لمزيدة .

لي أشقرٌ سمحُ العنان مغاورٌ... يُعطيك ما يُرضيك من مجهوده .

ومُهندٌ عصبٌ إذا جرّ دتّه... خلت البروق تموجٌ في تجريده .

ومثقفٌ لدنُ السَّنامِ كأنَّما ... أمُّ المنايا رُكَّبت في عوده .
وبذا حَويتُ المالَ إلَّا أنني ... سلَّطتُ جودَ يدي على تبيديه .
الأمير عليُّ بن محمد الصَّليحيُّ .
الناجمُ بالحجاز .

أنشدني أبو الفضل جعفرُ بن يحيى بن الحكَّاك المكيُّ له من قصيدة أوَّلها : .
أقول إذا باهوا بجَرَ الذلال ... لباسي درعي لا لباسُ الغلائل .
ومناه : .

وسرَّجِي فِراشي والحُسامُ مُضاجعي ... وعُدَّةُ حَربي لا ذواتُ الخَلاخل .
ورُمحي يُعاطيني البعيدَ لأنني ... تناولتُ ما أعيَا على المتناول .
ولي همةٌ تَسمو على كلِّ همَّةٍ ... ولي أملٌ أعيَا على كلِّ آمَلٍ .
ولي من بني قَحطانَ أنصارَ دولةٍ ... بطاريقُ من أنجادِ كلِّ القبائل .
وحكى لي أبو الفضل جعفر بن يحيى الحكَّاك هذا أن أخاه الحُسين بن يحيى الحكَّاك المكيُّ
أجاب الأمير الصَّليحيُّ عن هذه اللامية بقوله : .

رُويدك ليس الحقُّ يُنفى بباطلٍ ... وليس مُجدُّ في الأُمور كهازل .
كزعمك أن الدرعَ لُيسُك في الوعى ... وذاك لجينٍ فيك غير مُزائل .
وهل ينفعنَّ السيفُ يوماً ضجيعه ... إذا لم يُضاجعه بيقظةٍ باسِلٍ .
فهلاً اتَّخذتَ الصبرَ درعاً وجُنَّةً ... كما الصبرَ درعي في الخطوب النوازل .
وتفخر أن أصبحتَ مأمولَ عُصبةٍ ... فأحسنَ بمأمولٍ وأخسِسُ بآمِلٍ .
وهل هي إلَّا في تُرابٍ جمعتَه ... فهلاً غدتَ في بَدَلِ عُرفٍ ونائلٍ .
كما هَمَّنا فاعلمْ إغاثةُ سائلٍ ... وإسعافُ ملهوفٍ وإغناءُ عائلٍ .
وختم القصيدة بقوله فيها : .

ولا تَغترَّ بالليثِ عندَ خُدوره ... فكَمَّ خادِرٍ فاجا بوثُبةٍ صائلٍ .
المُجاشعيُّ شاعرُ الحرمين